

تكنولوجيا المعلومات الإلكترونية

عائلة بنو

تكنولوجيا المعلومات الإلكترونية هي مجموعة من الأدوات والتقنيات التي تستخدم في تخزين ونقل ومعالجة المعلومات. تشمل هذه الأدوات الحواسيب، الشبكات، الهواتف الذكية، والتطبيقات الإلكترونية.

عائلة بنو

المقاومة الفكرية في العصر الحديث

قضايا الجهاد المغربي ضد الاستعمار في أدب علي أحمد باكثير

بقلم: د. عبد الحكيم الزبيدي

حظيت قضايا جهاد الشعوب العربية والإسلامية ضد الاستعمار الأوروبي والصهيوني باهتمام الأديب علي أحمد باكثير، فتناولها في أدبه شعراً ونثراً. أما الشعر فقد كتب عدداً من القصائد التي يحيي فيها المجاهدين ويرثي شهداءهم. وأما في النثر فقد كتب أكثر من سبعين مسرحية سياسية قصيرة ذات فصل واحد، نشرها في الصحف اليومية في مصر، في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، ثم جمع بعضها في كتاب بعنوان (مسرح السياسة). وقد كتبها في قالب كوميدي، وهي نوع من الأدب المسرحي الساحر لم يسبق إليه باكثير، يقوم على مسرحة الأخبار التي تتناقلها الصحف وبيان موقفه منها.

وقد حظيت معظم الدول العربية والإسلامية بنصيب من هذه المسرحيات، إلا أن النصيب الأوفى كان من نصيب قضية فلسطين، لما تحتله قضيتها من مكانة في نفس كل عربي مسلم. ولأن احتلال فلسطين لم يكن كاحتلال غيرها من البلدان العربية والإسلامية، فقد كان احتلالاً يهدف إلى طمس هويتها وسلخها من العالم العربي والإسلامي.

وحظيت دول المغرب العربي (المغرب وتونس وليبيا) بالعديد من هذه المسرحيات، التي تصور جهاد شعوبها ضد الاحتلال الفرنسي والإيطالي. وقد تناول الباحث الأستاذ الدكتور الطيب علي الشريف من ليبيا هذه المسرحيات في كتابه القيم (مسرح باكثير وقضايا المغرب العربي) الذي صدر عن دار حضرموت للطباعة والنشر عام 2011.

ومن هذه المسرحيات مسرحيتان تناولتا الأحداث التي جرت في المملكة المغربية، وهي (أربعة في ماخور) و(إلى اللقاء في الدار البيضاء) وتتناولان حادثة عزل السلطان محمد الخامس وتولية السلطان محمد بن عرفة. وقد أعلن باكثير في هاتين المسرحيتين عن موقفه المتضامن مع السلطان المعزول، وسخريته من السلطان الجديد ومؤيديه، وسخريته من فرنسا.

كما كتب باكثير قصيدة يحيي فيها المجاهد المغربي علال الفاسي عندما نفتته فرنسا إلى الغابون. وكتب أيضاً قصيدة يرثي بها ثلاثة من مجاهدي المغرب العربي سقطت بهم الطائرة وهم في طريق عودتهم إلى بلادهم قادمين من العاصمة الباكستانية بعد حضور مؤتمر هناك.

وسوف نتناول في هذه الورقة هذه القصائد والمسرحيات بشيء من التفصيل، نوضح فيه الظروف والأحداث التي تناولتها وبيان موقف الأديب علي أحمد باكثير منها.

المغرب في شعر باكثير

تناول باكثير قضايا جهاد أبطال المغرب العربي ضد الاستعمار في العديد من قصائده. فمن ذلك قوله في قصيدته التي حيا بها المجاهد الفلسطيني أكرم زعيتر، ومطلعها⁽¹⁾:

كَلَّمْتُ يَدَايَ وَأَسْنَانَهُمْ
وَالنُّصْرَةَ لَمْ يَتَمَثَّلْ
أَيُّنَ الْإِبْرَاءِ الْبِعْرِ يُرِي
وَأَيُّنَ عِرْضِ الْمِسْأَلِ؟
تَلَاكَ (العروبة) - وَنَحْوَهَا -
يَقْطُرُ نَهْمِي تَهْمِي بِنَوْمٍ
حَايِرِي تَرْدُدُ نَمِّ بِي
أَلْفَتْ كَهْوَلًا مُحْجَمِي
نَ وَفْتِيَّةً لَمْ تُقْدِمِ

وفيها يعدد مآسي بلدان العرب، فيقول:

فِي (مِصْرٍ) جَرِيحٌ غَائِرٌ
مَسَّحُوا عَلَيْهِ بِمَرْهَمِ
و(بِسُورِيَا) رُوحَ الْحَيَاةِ
قَوَّ حَبِيسَةً فِي قُمَّةِ
وَالْمَغْرِبُ الْمُنْكَوْدُ يَبِي
نَ يَدَايَ هَزْنًا مِرْمِ
وَالسَّيْفُ يَقْطُرُ فِي فِلْسِ
طِينِ بَغْيِ تَأْتَمِ

كما يشير باكثير في قصيدة بعنوان (إسمعي يا باريس واعلمي يا لندن)⁽²⁾ إلى دور الأبطال المغاربة في الحرب العالمية الثانية التي حاربوا فيها دفاعاً عن فرنسا وسجلوا البطولات التي تدعي فرنسا أن جنودها هم الذين حققوها بينما حققها لهم الأبطال المغاربة:

نَشَرْتُ صَحْفُ الدُّنْيَا يَوْمًا هَذَا النَّبَأَ التَّالِي:

احْتَلَّتْ جُنُودُ فِرْنَسَا الْبُؤَاسِلِ (سَرْدِينِيَا)

قَالَتِ الدُّنْيَا: يَا بَطُولَتَهَا! يَا شَجَاعَتَهَا!

فَإِذَا صَوْتٌ قَدْ عَلَا لَا يَسْمَعُهُ إِلَّا الْمُنْصَفُونَ:

يَا أَيُّهَا الدُّنْيَا هَلْ تَدْرِينَ أَنْكَ مَخْدُوعَةٌ؟

أَسْأَلِي قَبْلَ أَنْ تَعَجِّي: مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الْجُنُودُ الْبُؤَاسِلِ؟

1 - محمد أبو بكر حميد: ديوان علي أحمد باكثير، مرقوم على الحاسوب

2 - نشرتها مجلة الرسالة تحت عنوان: «نموذج من الشعر المرسل الحر» عدد 625، بتاريخ 25 يونيو 1945م.

أَيُّ شَعْبٍ أُجِبُّهُمْ؟

إن لم تعلمي فاعلمي أنهم ليسوا من فرنسا

إنهم من أبناء (المغرب) الأكرمين

إنهم من نسل العُرب الميامين

غير أن باكثير خص المغرب بثلاث قصائد هي، حسب تاريخ كتابتها: قصيدة تحية للمجاهد علال الفاسي، وقصيدة في رثاء ثلاثة من أبطال المغرب العربي (المغرب، وتونس، والجزائر) استشهدوا إثر سقوط الطائرة التي كانت تقلهم عائدين من حضور أحد المؤتمرات، وقصيدة تحية للسلطان محمد الخامس. . وسنستعرض هذه القصائد بشيء من التفصيل في السطور الآتية.

تحية علال الفاسي:

حين نفت فرنسا المجاهد المغربي الكبير علال الفاسي⁽³⁾ إلى الغابون عام 1937م، كتب علي أحمد باكثير قصيدة عصماء يجيبه فيها، ويواسيه، ويهجو فرنسا، ويسفه قرارها. بدأ القصيدة بمواساة المجاهد علال الفاسي، ومشاركته همومه وأحزانه⁽⁴⁾:

ذَكَرْتُكَ يَا عَالِلَ وَالنَّاسُ هُجَّعٌ وَلَيْسَ سَوَى جَفْنِي وَجَفْنِكَ سَاهِدُ
وَلِلْهَمِّ حَزٌّ فِي فُؤَادِي قَاطِعٌ وَلِلْيَاسِ قَتْلٌ فِي أَمَانِي حَاصِدُ
يَكَادُ الدُّجَى يَقْضِي عَلَيَّ لِأَنَّهُ دُجَى الْعُرْبِ تَاهَتْ فِي عَمَاهِ الْمَقَاصِدُ

ثم يذكر تأمر الدول الاستعمارية على الدول العربية:

تَدَاعَتْ عَلَيَّ قَوْمِي الشُّعُوبُ فَمَا وَتَتْ مَصَادِرُهَا عَن حَوْضِهِمْ وَالْمَوَارِدُ

ثم يهدد هذه الدول الاستعمارية من استيقاظ المارد العربي النائم، الذي سترى منه الولايات:

إِذَا اسْتَيْقَظَ الْعَمَلِاقُ مِنْ طَوْلِ نَوْمِهِ وَرَاعَ الْوَرَى مِنْهُ نَجِيٌّ وَمَارِدُ
فِيَا وَيْلَ بَارِيسَ وَرُومَا وَلَنْدِنِ وَيَا وَيْلَ قَزْمِ بَاتٍ فِينَا يُعَانِدُ
رَجُوعاً إِلَى مَا خَلَفَ طُورُوسَ! وَأَزْخَلُوا إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهُنَّ الْمِكَايِدُ

3 - علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال، الفاسي الفهري (مواليد 1910م، فاس - توفي في 1974م، بوخارست) سياسي وأديب مغربي، مؤسس حزب الاستقلال وزعيم الحركة الوطنية المغربية، وأحد أعلام الحركة الإسلامية الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين، التي دعت إلى نوع من السلفية التجديدية، رفقة محمد عبده ورشيد رضا ومحمد الطاهر بن عاشور وغيرهم.

4 - هلال ناجي: شعراء اليمن المعاصرون، مؤسسة المعارف، بيروت، 1966م، ص 232-234

فَلَيْسَ بِنَامٍ فِي ثَرَانَا الْمَقَابِسُ
تَتِيهِ بِهِ الدُّنْيَا وَتَزْهَى الْمَحَامِدُ
كَمَا قِيءَ مَسْمُومٌ مِنَ الزَّرَادِ فَاسِدُ

خُذُوا مَعَكُمْ إِحْسَادَكُمْ وَفَجُورَكُمْ
لَنَا دِينُنَا الْأَسْمَى لَنَا مَجْدُنَا الَّذِي
سَنَلْفُظُكُمْ مِنْ جَوْفِنَا وَنَقِيئُكُمْ

ثم يعود إلى مواساة علال ومشاركته هموم وآلام المنفى:

أَكَابِدُ مِنَ آلامِهِ مَا أَكَابِدُ
فَهَذَا شَعُورٌ فِي بَنِي الْعُرْبِ سَائِدُ
تَلِينُ - وَيَأْبَى أَنْ يَلِينُ - الْجَلَامِدُ
تَهْوُنُ عَلَيْهِ فِي الْجِهَادِ الشَّدَائِدُ

ذَكَرْتُكَ يَا عَالِلُ فَاتَّبَانِي الْأَسَى
كَأَنِّي أَنَا الْمَنْفِيُّ دُونَكَ فَاصْطَبِرْ
يُودُونَ لَوْ يَفِدُونَ مِنْكَ مَصْمَمًا
صَبُورًا عَلَى الْبَلْوَى شَدِيدًا عَلَى الْعَدَى

ويهجو فرنسا التي اتخذت هذا القرار الجائر، قائلاً:

لَهَا عَضُدٌ فِي الْمَخْزِيَّاتِ وَسَاعِدُ
وَتُسَلِّمُ مِنْ عَدْرِ بِهَا مَنْ تُعَاهِدُ
بِأَنَّ تَرَاهَا لِلْكَرَامَةِ وَالْبُدُ
غَدَا وَهَوِي فِي أَسْوَاقِنَا الْيَوْمَ كَاسِدُ
وَيَنْعَلُ فِيهِ الْمَفْلِسُونَ الْأَبَاعِدُ
فَمَنْ نُحْرِهَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَلَائِدُ

نَفَقْتُكَ إِلَى (جَابُونَ) الْأُمِّ دَوْلَةٍ
تَذَلُّ لِلْبَاغِي فَتَنْقُضُ حِلْفَهَا
وَتَضْطَهُدُ الْأَحْرَارَ ظُلْمًا وَتَدَّعِي
سَنُعَلِّمُهَا يَوْمًا بِأَنَّ بَغَاءَهَا
سَتُضْبَعُ خَدِّيهَا فَيُحْضَبُ وَجْهَهَا
فَقَدْ نَحَرَ الدَّاءَ الْعَقَامَ عِظَامَهَا

ويسخر من قرار المنفى، ويؤكد أنه لن يؤثر على جهاد المغاربة ومطالبتهم بحقوقهم، فليس علال إلا فرد واحد، وفي الأمة آلاف أمثاله:

أَجَلُنْ، أَنْتَ فِي قُدْسِ الْبَطُولَةِ وَاحِدُ
تُجَاهِدُ فِي اسْتِقْلَالِهَا مَا تُجَاهِدُ
بِخَيْرِ لُغَاتِ الْأَرْضِ وَالذِّكْرِ شَاهِدُ
أَلَا كُلُّ شَعْبٍ مَا خَلَا الْعُرْبَ بَائِدُ

لَقَدْ خَالَتِ الْعَجْفَاءُ أَنْكَ وَاحِدُ
وَلَمْ تَعْلَمْ الْعَجْفَاءُ أَنَّكَ أُمَّةٌ
ثَمَانُونَ مِليونًا يُبَاهُونَ كُلَّهُمْ
«أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»

ثم يعود إلى مواساة علال، ومقاسمته همومه وآلامه في المنفى:

تُرَاوِدُهُ الشَّكْوَى سُدًى مَا تُرَاوِدُ
وَلَكِنَّهُ فِي مَوْقِفِ الْخَطْبِ جَامِدُ

كَأَنِّي بَدَمَعٍ فِي جُفُونِكَ حَائِرٍ
وَمَا أَنْتَ مِنْ لَا يَعْرِفُ الْعَطْفَ دَمْعُهُ

وفي دَمْعِكَ الغالي خَلاصٌ لأمّةٍ يَسِيرُ بِها مِنْه إلى العَرَضِ قَائِدُ
يَجيشُ به (بَدْرٌ) و(أُحَدٌ) و(خُنْدَقٌ) و(حِطَّيْنٌ) وتلكَ المشاهِدُ
ثم يعلن أنه - وإن كان لا يساميه في الجهاد- إلا أنه شاعر مثله، ويتمنى لو أنه يجاهد بسيفه، كما يجاهد بقلمه:

لَقَدْ نَلْتِ يا عَلاَلُ ما نُرِيتَ في العُلى وَجَدُ نِزارٍ بالذي نَلْتِ صَاعِدُ
وشتانَ ما حالي وحالكَ: حالمٌ صَريعُ أمانيهِ وَقَرمُ مجالِدُ
فأه، كِلانا شاعرٌ غيرَ أني مقيمٌ على ضَيِّمٍ وأنتَ مُجاهِدُ!
ولكن كِلانا دينه دينُ يَعْربُ وفي دَمِه (سَعْدٌ) و(عَمْرُو) و(خالِدُ)
وَدَدْتُ لَوَائي في (فِلَسطينَ) ثائرٌ لأهلِي تَنعاني الظُّمى لا القَصائدُ
أو أني في (إسكندرونَةَ) شَاهرٌ حُسامي عليه من دمِ الوَحْشِ جاسِدُ
وفي برقةٍ أو في (الجزائرِ) قاصِمٌ ظُهُورَ العِدى والباتراتِ رَواعِدُ
فَيْلِكَ بِلادي لا أُفَرِّقُ بينها لها طارِفٌ في بَحْدِ قومي وتالِدُ
عليكَ سلامُ الله ما ثارَ ثائرٌ وما ذادَ عن مَجْدِ العروبةِ ذائِدُ

شهداء المغرب العربي:

كذلك رثى باكثير في قصيدة له ثلاثة من ثوار المغرب العربي؛ وهؤلاء الثلاثة هم: الأستاذ محمد بن عبود من المغرب الأقصى، والأستاذ علي الحمامي من الجزائر، والدكتور الحبيب ثامر من تونس، وهم من كبار مناضلي الحرية والاستقلال وقد استشهدوا في 12 دجنبر (ديسمبر) 1949 إثر سقوط الطائرة التي كانت تقلهم قرب مطار كراتشي بالباكستان، حين كانوا عائدين من مؤتمر من العاصمة الباكستانية حيث كانوا يحضرون مؤتمرا اقتصاديا بصفتهم ممثلين لحركة التحرر المغربية⁽⁵⁾.

وقد بدأ باكثير قصيدته بتصوير عظم الفاجعة⁽⁶⁾:

رُزَّةٌ شأى في هولاه الأرزاء نكب العروبة أمة ولواء
ما من فؤاد بالعروبة نابض إلا تقطع حسرةً وُكْغاء
ببكي ثلاثة فتية من خيرها وطنيئة وحماسة وإباء

5 - جليلة المؤدب: ثلاثة رموز فكرية سياسية مغربية، بحث لنيل شهادة الماجستير في الحضارة العربية المعاصرة، إشراف الأستاذ: محمد الناصر الفزاوي، جامعة تونس، 2005-2006، ص 8

6 - محمد أبوبكر حميد: ديوان علي أحمد باكثير، مرقوم على الحاسوب

المغرب العربي أنجبهم لها
استعذبوا مُرَّ الجهاد وآثروا التـ
لو هادنوا المستعمرين لَحُمُّوا
لكنهم آلو ليَبُغْنَ العلى
وليطردن الغاصبين عن الحمى
ولطألما أهدى لها العظماء
شريد والتغريب والإيذاء
دعة وخفض معيشة ورخاء
مهما تكن عقباتها كأداء
مهما يطيلوا في الربوع ثواء
وبعد أن يبين الحزن والأسى على استشهادهم، ويمجد إثارهم للتشريد والتغريب على دعة العيش، من أجل أوطانهم،
يصفهم واحداً واحداً، فيبدأ بالشهيد المغربي ابن عبود:

من كـ(ابن عبود) بشاشة طلعة
تلقاه مثل الطفل طيب سريرة
جمع الوداعة والمضاء فلم يلن
مثل الخبير لهم نعومة ملمس
حلو الشمائل غيبه كشهوده
تبكي به (مراكش) علما لها
والنائبات تبلبل الخلماء
وهو الذي فاق الكهول دهاء
لعدى ولم يجدوا لديه جفاء
فإذا أرادوا القطع كان عناء
مألان من كرم يفيض وفاء
كادت تطول برأسه الجوزاء
ثم يثني بالجزائري الحمامي، الذي كان رفيق سلاح للأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وكان الحمامي أديباً وله رواية شهيرة
بعنوان (إدريس) كتبها باللغة الفرنسية استوحاها من جهاد الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وأهداها إليه⁽⁷⁾. وإلى هذا
يشير بكثير بقوله:

أو من كـ(حمّاميّهم) قلماً إذا
حمل السلاح مع (الأمير) على العدا
حتى إذا الميدان ضاق بسيفه
أصلى بها المستعمرين صواعقاً
تخذ القنوط إلى الرجاء سبيله
ويرى البناء يروم هدماً قبله
تبكي الجزائر منه حادي أمة
ثم ختم بثالثهم التونسي الحبيب ثامر:

أو من كـ(ثامرهم) خلوص طوية
وسماحةً بين السورى وحياء

ساع يرى العمل الدؤوب متاعه
لم يرج منه على عظيم فعاله
سيان ما أدى الأمانة عنده
وكانت جثة الحبيب ثامر قد احترقت وأصبحت رماداً، بينما نقل رفات زميليه إلى بلديهما حيث قبرا هناك⁽⁸⁾، وإلى هذا يشير باكثر بقوله:

لا تعجبوا لرفاقه لما اختفى
وطنية خرساء أنى بعده
أودى بـ(تونس) من عظيم مصابه
ثم يعود إلى رثائهم مجتمعين، ويذكر قصة استشهادهم، وأنهم كانوا يسعون لوحدة أقطار المغرب العربي:

من بعدما ملؤوا الزمان ضياءً
وغروبوهم في الشَّرِّقِ كَانَ قِضَاءً
وطوافها وطلابها العلياء
ليحققنَّ الوحدة العصماء
وتخبروا قرطاسها الأجواء
ويصف كيف استشهدوا في السماء:

فَأَتَى الْقِضَاءُ لَهُمْ بِأَطْهَرِ بَقْعَةٍ
فَأَضَتْ لِبَارِئِهِمْ بِهَا أَرْوَاحَهُمْ
ولقوا بها وجه المهيمن في العلى
ثم يدعو لهم بالرحمة قائلاً:

صلى الإله عليهم ما خلدت
وجزاهم الرحمن خير جزائهم
أوطأهم ذكراهم الشماء
أن تستقل بلادهم جمعاء
لا تستطيع بدون ذلك عزاءهم

تحية الملك المغربي محمد الخامس:

وكتب باكثير قصيدة يحیی فیها الملك المغربي محمد الخامس⁽⁹⁾ وليس لدينا معلومات حول تاریخ وظروف كتابة القصيدة، ولكن يبدو أنه نظمها بعد أن أعلن محمد الخامس نفسه ملكاً بعد أن كان یلقب بالسلطان، لأنه یخاطبه فیها بلقب المللك⁽¹⁰⁾:

عِشْ عَزِيزاً يَا مَلِيكَ الْمَغْرِبِ لِحِمَى السِّدِينِ وَبِحَدِّ الْعَرَبِ
أَنْتَ أَنْقَذْتَهُمَا مِنْ مُعْتَدٍ يَبْتَغِي وَأَدْهَمَا فِي الْمَغْرِبِ
فِي بِلَادِ هِيَ مِنْ دُنْيَاهُمَا شَطْرُهَا فِي مَعْرَمٍ أَوْ مَكْسَبِ
نَظَّمْتَهُمَا كُلَّهُمَا آيُّ الْهَدَى وَالشُّرَاثُ الْمُنْتَقَى مِنْ يَغْرِبِ
وبهجو فرنسا التي نفته وعزلته:
تَعَسَّتْ دَوْلَةٌ بَغْيِي تَبْتَغِي فَصَلَّ مَوْصُولِ الْعُرَى وَالسَّبَبِ
دَوْلَةٌ بَجَّثُوا عَلَى رِكْبَتِهَا حِينَ يَغْزُوهَا الْمَغِيرُ الْأَجْنَبِي
ثُمَّ لَا يُجْلَهُمَا أَنْ تَتَدْعِي فِي ظِلَالِ السَّلْمِ عَزَّ الْعَلْبِ
ضِلَّةً تَبْغِي عَلَوْاً فِي الدُّنَا فَوْقَ هَامَاتِ الشُّعُوبِ التُّجِبِ
ويطالب فرنسا بالرحيل عن البلاد العربية:

يَا ابْنَةَ الْعُهِرِ وَيَا أختَ الْحَنَّا عَن بِلَادِ الْعُرْبِ فِي الْعَرَبِ اغْرُبِي!
قَوِّضِي عَنْهَا مَوَاحِيرِكِ، لَمْ يَبْقَ فِيهِنَّ لَنَا مِنْ مَأْرَبِ!
قَدْ سَأَمْنَاهَا وَقَدْ ضِقْنَا بِهَا فَاثْقَلِيهِنَّ إِلَى النَّارِ اذْهَبِي!
نَحْنُ فِي الشَّرْقِ وَفِي الْعَرَبِ مَعَاً أُمَّةٌ يَجْمَعُهَا السِّنْحُ الْأَبْيَّ
قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى أَلَا نَرَى بَيْنَنَا ظِلَالاً لِحُكْمِ الْأَجْنَبِي
ثم يختم بتحية الثوار المغاربة ودعوته لهم بالاستمرار في ثورتهم، وأن قضيتهم هي قضية العرب أجمعين:

يَا بَنِي الْمَغْرِبِ هَذَا يَوْمُكُمْ! فَاخْلَعُوا النِّيْسَ بِعَزْمٍ أَغْلَبِ
نَحْنُ نَرَعَاكُمْ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى مِثْلَمَا نَزَعَى بُزُوعُ الْكُوكَبِ

9 - محمد الخامس (1327 هـ / 10 أغسطس 1909م - 1381 هـ / 26 فبراير 1961م بفا) سلطان المغرب بين 1927-1957 (قضى منها في المنفى بين 1953-1955)، وملك بين 1957-1961 بعد أن استبدل لقب السلطان بلقب الملك. بعد وفاة والده مولاي يوسف تقلد العرش يوم 18 أغسطس 1927م. ساند السلطان محمد الخامس نضالات الحركة الوطنية المغربية المطالبة بتحقيق الاستقلال، الشيء الذي دفعه إلى الاصطدام بسلطات الحماية. وكانت النتيجة قيام سلطات الحماية بنفيه إلى مدغشقر. وعلى إثر ذلك اندلعت مظاهرات مطالبة بعودته إلى وطنه. وأمام اشتداد حدة المظاهرات، قبلت السلطات الفرنسية بلرجاع السلطان إلى عرشه يوم 16 نوفمبر 1955. وبعد بضعة شهور تم إعلان استقلال المغرب.

10 - محمد ابوبكر حميد: ديوان علي أحمد باكثير، مرقوم على الحاسوب

دون أن تَشْـمَلَنا مَحْتَننا
عَنناكم في غايَة أو مَذْهَب
ولَقَدْ تُرنا على غاصبنا
فَتِئوا ثُمَّ على المَعْتَصِبِ
إنها معركة واحدة
في رُبى النيل وأرض المَعْرِبِ

ملاحظات على القصائد

وقبل أن نتقل إلى المسرحيات، يحسن بنا أن نلفت النظر إلى بعض الخصائص الفنية والفكرية في القصائد السابقة. فمن الناحية الفنية نجد القصيدة الأولى منها (تحية المجاهد علال الفاسي)، تمتاز بالجزالة اللفظية، واستخدام المفردات الغريبة. وبالنظر إلى تاريخ كتابة القصيدة (1937)، نجد أن باكتير كان فيها حديث عهد بمرحلة حضرموت، حيث يمكن تقسيم شعر باكتير إلى مرحلتين، يمكن إيجازهما فيما يأتي:

مرحلة حضرموت: وتشمل القصائد التي نظمها في حضرموت وعدن والحجاز حتى قدومه إلى مصر عام 1934. وتمتاز هذه المرحلة بالجزالة اللفظية واستخدام المفردات الغريبة والنفس الطويل، وتتبع خطى فحول الشعراء الإحيائيين.

مرحلة مصر: وتشمل القصائد التي نظمها في مصر، وقد بدأ فيها التخفيف التدريجي من الألفاظ الجزلة والغريبة، واستخدام الألفاظ السهلة المأنوسة، والتركيز على الفكرة. وظهر خلالها تأثيره بالمدرسة الرومانسية. وكان ينشر هذه القصائد في مجلة (أبولو) المصرية، بينما استمر في كتابة قصائده الجزلة التي تتناول القضايا القومية والإسلامية في مجلة (الفتح) لمحِب الدين الخطيب. وقد قاده هذه المرحلة إلى كتابة الشعر الحر في اللغة العربية لأول مرة حين ترجم مسرحية (روميو وجوليت) لشكسبير بالشعر الحر عام (1936)، ثم كتب في العام التالي (1937) مسرحيته (أختاتون ونفرتيتي) بالشعر الحر أيضاً. ورغم وقوعه على شكل الشعر الحر واستخدامه له في مسرحيتين مترجمة ومبدعة، إلا أنه لم يترك الجزالة اللفظية والألفاظ الغريبة، وهو الأمر الذي عابه عليه بعض النقاد⁽¹¹⁾.

وقصيدة (تحية المجاهد علال الفاسي) كتبت عام 1937 وهي السنة التي نفي فيها المجاهد علال إلى الغابون، ولا ندري على إن كانت القصيدة قد نشرت في حينها أم لا، إلا أنها منشورة في كتاب هلال ناجي: (شعراء اليمن المعاصرون) الصادر عام 1966م. والقصيدة جزلة فخمة الألفاظ وقد اختار لها بحر الطويل، الذي يعين على النفس الطويل، إذ هو "أطول بحور

الشعر العربي وأعظمها أبهة وجلالة وإليه يعمد أصحاب الرصانة وفيه يفتضح أهل الركافة والمحنة" ، كما يقول الدكتور عبد الله الطيب ⁽¹²⁾ . وتمتليء القصيدة بالألفاظ الجزلة بدءاً من المطلع:

ذَكَرْتُكَ يَا عَالِلًا وَالنَّاسُ هَجَّعٌ وَلَيْسَ سَوَى جَفْنِي وَجَفْنِكَ سَاهِدُ

فجده يختار لفظة (هَجَّعٌ) ولم يختَر (نَوْمٌ) مثلاً، لجزالة الأولى وضعف الثانية، إذ المهجوع – كما يقول صاحب لسان العرب- (المُجُوعُ: النومُ ليلًا، وقد يكون المَجُوعُ بغير نوم)⁽¹³⁾، فكانت لفظة (هجع) مناسبة للوقت الذي نظم فيه باكثير القصيدة وهو آخر الليل، بينما الجميع (هجوع) في فرشهم. ثم نجد يستخدم كلمة (ساهد) ولم يقل (ساهر)، لأن (السهاد) هو الأرق، ولا يكون إلا لهم أو ألم، أما (السهر) فهو عدم النوم، وقد يكون لأمر مفرح. يقول البغدادي في (خزانة الأدب): "وقد فرق بعض اللغويين بين السهاد والسهر، فزعم أن السهاد للعاشق واللديع، والسهر في كل شيء"⁽¹⁴⁾.

وهكذا بقية الألفاظ في القصيدة، كلها منتقاة بعناية، ولا تحل لفظة محل أخرى. ومن الألفاظ الغريبة في القصيدة قوله:

أَوْ أَنِّي فِي (إِسْكَندَرُونَ) شَاهِرٌ حُسَامِي عَلَيْهِ مِنْ دَمِ الْوَحْشِ جَاسِدُ

والجاسد هو الدم المتجمد، ومنه قيل للثوب: مُجَسَّدٌ إِذَا صَبِعَ بِالزَّعْفَرَانِ⁽¹⁵⁾. وهذه اللفظة أدت معنيين أرادها الشاعر، وهما أن هذا الدم متجمد، أي قديم ومتراكم بعضه على بعض، والأمر الآخر أنه يفخر به ويراه كأنه الزعفران.

وإذا انتقلنا إلى القصيدة الثانية (تحية الشهداء الثلاثة)، وتاريخ كتابتها عام 1949، أي بعد أكثر من عشرة أعوام من كتابة القصيدة الأولى، سنجد أن ألفاظها مأنوسة في غالبها، وإن كانت القصيدة لا تخلو من الجزالة، خاصة في قافيتها المزمزية المفتوحة. وقد اختار لها بحر الكامل، "وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء أريد به جد أم هزل ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن فصله عنها بحال من الأحوال"⁽¹⁶⁾، كما يرى الدكتور عبد الله الطيب. وهكذا كان باكثير في هذه القصيدة يتغنى ببطولة هؤلاء الثوار الثلاثة وحادثة استشهادهم، فجاء الوزن مناسباً لغرض القصيدة. ولم تحل القصيدة من الألفاظ الغريبة، فمنذ المطلع تصادفنا كلمة (شأى):

رُزُّ شَأَى فِي هَوْلِهِ الْأَرْزَاءِ نَكَبَ الْعُرُوبَةَ أَمَّةً وَلِوَاءِ

12 - عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط3، الكويت، 1989، ج1، ص 443

13 - ابن منظور: لسان العرب، نسخة إلكترونية، موقع الباحث العربي، مادة (هجع)

14 - عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب، نسخة إلكترونية، موقع الموسوعة الشاملة، ج 2، ص 321

15 - ابن منظور: لسان العرب، نسخة إلكترونية، موقع الباحث العربي، مادة (جسد)

16 - عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مرجع سابق، ج1، ص 302

ومعنى (شأى: سبق وجاوز)⁽¹⁷⁾، ولا يمكن للفظه أخرى أن تحل مكانها، حيث تتضمن لفظة (شأى) ما يدل على السرعة، وهو ما يتناسب مع فجأة الحدث وسرعة سقوط الطائرة.

أما القصيدة الثالثة فجاءت على شكل نشيد، ألفاظه مأنوسة وليس فيه جزالة أو ألفاظ غريبة. وهو ما يتناسب مع طبيعة النشيد الذي يكتب عادة لينشد ويغنى، ولذا وجب أن تكون ألفاظه سهلة قابلة للتلحين، مفهومة لجميع المنشدين والمستمعين.

أما من الناحية الفكرية، فالقصيدة تدل على مدى متابعة باكثير للأحداث السياسية في البلاد العربية. كما تدل على سعة اطلاعه على أحوال المجاهدين حيث ذكر عن الشهداء الثلاثة تفاصيل من حياتهم وجهادهم تدل على معرفته بأدق تفاصيل حياتهم، وتتبعه لأخبارهم و منافحته عنهم. وقد لقيت قصيدته في الشهداء الثلاثة صدى طيباً، ونشرها مكتب المغرب العربي، كما أشارت الباحثة جلييلة المؤدب التي أوردت مقتطفات منها في بحثها⁽¹⁸⁾.

المغرب في مسرح باكثير

تناول باكثير في مسرحه السياسي، وهي مجموعة مسرحيات سياسية قصيرة ذات فصل واحد، الصراع بين الدول العربية والاستعمار الأوروبي. وكان لدول المغرب العربي (المغرب، تونس، ليبيا) نصيباً منها. وإذا اقتصرنا على المملكة المغربية فسنجد أن باكثير قد خصها بمسرحيتين تناولتا الأحداث التي أدت إلى عزل السلطان محمد الخامس ونفيه وتعيين ابن عرفة بدلاً منه. هاتان المسرحيتان هما، حسب تاريخ كتابتهما: أربعة في ماخور (1953)، وإلى اللقاء في الدار البيضاء (1954)، وسوف نتناول أحداثهما بشيء من التفصيل في السطور الآتية.

أربعة في ماخور⁽¹⁹⁾:

تدور أحداثها في قاعة استقبال في قصر الجلاوي بمدينة مراكش، وتتناول ظروف عزل السلطان محمد بن يوسف من الإمامة الدينية وجعلها في محمد بن عرفة، تمهيداً لعزله من الحكم. والأربعة المقصودين هم: الجلاوي باشا، والجنرال أوجستين جيوم المقيم الفرنسي في مراكش، والشيخ عبد الحي الكتاني، ومحمد بن عرفة. وقد سخر باكثير من هؤلاء الأربعة سخريه مرة.

أما المقيم الفرنسي (جيوم) فقد سخر منه باكثير بأن جعله يكيل السباب والشتيم للمقيم السابق جوان، على خرقة وعدم تمكنه من ضبط الأمور حتى اضطرت فرنسا إلى تغييره وإرسال (جيوم) بدلاً منه. وباكثير بهذا يبين عدم ولاء الفرنسيين

17 - ابن منظور: لسان العرب، نسخة إلكترونية، موقع الباحث العربي، مادة (شأى)

18 - جلييلة المؤدب: ثلاثة رموز فكرية سياسية مغربية، ص 130

19 - نشرت في صحيفة الدعوة، الثلاثاء، 22 ذي الحجة، 1372 هـ (1953/9/1).

وتهرّبهم من تبعة المسؤوليات وإيثارهم للسلامة، وخوفهم من أهل المغرب، وعدم رغبتهم في تولي الحكم فيها. كما صور باكتير فساد أخلاق الفرنسيين، وعدم غيرتهم، حيث صور (جيوم) يرتع في الرذيلة مستغلاً غياب زوجته في زيارة إلى (كابري) برفقة (صديقها) وانطلاقها معه على حريتها بعلم زوجها. أما الشخصيات العربية فقد صورها باكتير دمية في يد الفرنسيين يكيلون لهم الذل والمهانة، ويعاملونهم معاملة الكلاب، وهم مغتبطون بذلك.

ففي بداية المشهد نجد المقيم الفرنسي مع الجلاوي باشا⁽²⁰⁾، ونرى كيف يمتحن المقيم الجلاوي باشا ويخاطبه بعنجهية واحتقار، والجلاوي يتدلل إليه. فحين اعترض الجلاوي على سحب فرسانه من الرباط دون إذن منه، قال له المقيم باحتقار: ومتى كنت آخذ الإذن منك؟ فألان الجلاوي من لهجته وقال: أقصد دون علمي. فقال له: وماذا يهمني علمك؟ وحين اعترض الجلاوي بأنهم رجاله، قال له المقيم: أوقد اغتررت بمؤلاء؟ من الذي جعلهم رجالك غيرنا؟ هل كنت أنت وأسرتك لولا فرنسا إلا لصوباً تقطعون الطرق على السابلة في الجبال؟

وحين يناقشه الجلاوي في تهاونه في خلع السلطان محمد بن يوسف، يقول له إنه لم يتهاون. وحين يطلب منه الجلاوي شرح سياسته قال له إن حسبه أن ينفذ الأوامر. وحين اعترض الجلاوي بأنه حريص على مصلحة فرنسا، قال له المقيم إنه سيشرح له الأمر بطريقة عملية. وطلب منه أن يحضر كلبه ميشو، وحين أحضره ورآه يتمسح به، قال له: إنه يجيك، فقال الجلاوي مزهواً: نعم. فسأله المقيم هل تشك في ولاءه لك؟ فقال: لا، فقال له المقيم: فهل تفضي إليه بأسراك؟ قال: لا، لأنه حيوان لا يفهم. فيقول له: حتى في الأمور التي يفهمها، هل تلقي له بأوامرك كلها مرة واحدة أم تلقيها إليه أمراً أمراً، فقال الجلاوي: بل أمراً أمراً. فيقول له المقيم: هل فهمت الآن؟ فيخفض الجلاوي رأسه ويقول بانكسار: نعم.

وهكذا نرى باكتير يصور العلاقة بين الفرنسيين ومن يمالأهم من العرب بعلاقة السيد بكلبه، يقضي به حاجته ثم يركله. وهو تصوير فيه من المذلة والمهانة ما يعبر عن احتقار باكتير لمن يمالأ المستعمرين ويؤيدهم.

ثم يدخل الشيخ عبدالحى الكتاني⁽²¹⁾، وحين يرى المقيم بهم بالقيام يقول له لا داعي للقيام، فيرد عليه المقيم: ومن قال لك إنني سأقوم لك، إنما خدرت رجلي من طول الجلوس فأردت أن أحركها. فيطلب منه الشيخ الكتاني أن يسمح له بأن يعالج رجله، ونفهم من الحوار أن الشيخ الكتاني يعالج الناس بالشعوذة والتفل عليهم. وهكذا نجد سخيرية باكتير تطال الشيخ الكتاني أيضاً. ثم يسأله المقيم عن مشايخ الطرق، فيرد بأنه أقنعهم أن يصدروا "فتوى بوجوب خلع السلطان محمد بن يوسف عن إمامته الدينية لأنه مبتدع ضال منحرف عن تعاليم الدين يدعو إلى الفتنة وشق عصا الطاعة على أولي الأمر

20 - الحاج التهامي المزوراري الكلاوي (1878 - 1956م) باشا مراكش وزعيم قبيلة كلاوة بجبال الأطلس الكبير، انتقل من خدمة العرش العلوي والمخزن، إلى أبرز المتمردين عليهما زمن الحماية الفرنسية. شارك في مؤامرة 20 أغسطس 1953، عندما خلع السلطان من العرش ونفي بمعية عائلته الملكية وأخذ محمد بن عرفة مكان السلطان محمد الخامس.

21 - محمد عبد الحى بن عبد الكبير الكتاني (1888 - 1962 م): عالم بالحديث ورجاله مغربي، ولد وتعلم بفاس. وكان منذ نشأته على غير ولاء للأسرة العلوية المالكة في المغرب، واعتقل سنة 1327 هـ (1909 م) في (دار المخزن) ببلده. ولما فرضت الحماية الفرنسية على المغرب، (1912) انضم في موالاتها. وجاهر بالبيعة لابن عرفة، (صنيعة الفرنسيين) بعد إبعاد محمد الخامس عن بلاده وعرشه. ولما استقل المغرب (1955) كان الكتاني في باريس، فظل بها وتوفي في مدينة نيس.

ويحارب مشايخ الطرق الصوفية الموالين لفرنسا حامية الإسلام في هذه البلاد". وهكذا نجد باكثير يلزم الصوفيين وكان قد شن عليهم -أو بالأصح على أدعياء التصوف منهم- حرباً ضروساً في أول عمل مسرحي له وهو (همام أو في بلاد الأحقاف). وإن كان بعد ذلك قد كتب عدة مسرحيات تاريخية قصيرة عن بعض أعلام المتصوفة مثل إبراهيم بن أدهم وحاتم الأصم وغيرهم. مما يدل على أن باكثير لا يعادي التصوف جملة، وإنما يعادي الشعوذة والتدليس على العامة باسم الدين.

وحيث يقول المقيم للكتاني إنه أنقذ الإسلام في هذه البلاد بفعله هذا، حيث كان المقيم ينوي محو الإسلام من هذه البلاد. فيقول له الكتاني أن لا يفعل لأن الإسلام (الحقيقي) موال لفرنسا، وأن ابن يوسف وعصابته هم ضالون مبتدعون لا يمثلون الإسلام الحقيقي، حيث "إن لفظة الإسلام نفسها معناها في اللغة الاستسلام والخضوع لله سبحانه وتعالى ولمن جعلهم الله حكاماً في البلاد". ويؤكد الكتاني للمقيم أنه أعلم المسلمين بالحديث في عصره. وباكثير بذلك يؤكد حقيقة معروفة عن الشيخ الكتاني وكأنه بذلك يدين الكتاني ويقرعه أشد التقرع بسبب موالاته للفرنسيين مع ما يحمله من علم.

ثم يدخل محمد بن عرفة⁽²²⁾، وحين يمد يده لمصافحة المقيم يأمره بالجلوس ويقول له لا داعي للمصافحة. وهكذا أيضاً يعرض باكثير ابن عرفة لسخريته وتحقيره من قبل المقيم. ويخبره المقيم أنه أصبح إمام المسلمين بدلاً من ابن يوسف. فيقول: وماذا أصنع بالإمامة الدينية وحدها، أريد أن أكون سلطاناً. فيرد عليه المقيم في حفاء: لا شأن لنا بما تريد ومالا تريد. تقبل بالإمامة أم لا تقبل؟ فيقبل في ذلة، بعد أن يشير عليه الحاضرون بذلك.

ثم يطلب المقيم من الجلاوي أن يروح عنهم. فيسأله ماذا يريد؟ فيطلب (مياه فيشي) ويعني بها الخمر. فيستأذن الكتاني في الانصراف، أما ابن عرفة فيبقى. ثم يطلب المقيم أن يحضر له الجلاوي المومسات ليختار واحدة لتؤنسه في الليل. وحين يسأله الجلاوي عن زوجته يقول إنها رحلت إلى كبري لتقضي شهراً هناك مع صديقتها، وهذه فرصته للانطلاق. وحين يقول له ابن عرفة: ولتنطلق هي أيضاً، يزرجه، فيرد ابن عرفة قائلاً: إني معجب بهذه الحرية التي تستمتعون بها أنتم وزوجاتكم، يا ليتنا نحن مثلكم! فيقول له المقيم: أنتم؟ تحتاجون إلى قرون لتبلغوا هذا المستوى الرفيع!

ثم يستعرض الفتيات واحدة تلو الأخرى، ويسألها عن مواهبها، فتذكر له أن المقيم السابق كان يستلطفها، وفي كل مرة كان المقيم يتغير وجهه ويأمر بصرفها. فيفطن ابن عرفة إلى السبب، ويستأذن المقيم أن يلحق بالجلاوي ليساعده على الاختيار،

22 - ولد محمد بن عرفة بن محمد بن عبد الرحمن في فاس عام 1886م، أمضى بن عرفة حياته الأولى في تحصيل العلوم الدينية، وكان يقضي وقته ما بين مباشرة ممتلكاته وبين الصلاة والعبادة. حين عزلت فرنسا السلطان محمد الخامس في 1953/8/20م ونفته إلى جزيرة مدغشقر، تمت مبايعة محمد بن عرفة خلفاً له باعتباره أحد أفراد الأسرة الحاكمة فضلاً عن تدينه وعدم انفتاحه على الغرب مثل محمد الخامس. وقد استهل ابن عرفة حكمه بالتنازل عن بعض مملكتيه. في تلك الأثناء قاد الأمير الخطابي والوطنيون المغاربة من القاهرة حملة كبيرة دعت المغاربة للثورة المسلحة للخطابية بإعادة محمد الخامس إلى عرشه، الأمر الذي أدى في النهاية إلى عقد مباحثات (بيكس لبيان) عام 1955م بين فرنسا والمغاربة مما اضطر فرنسا إلى إنهاء الموقف وإعادة محمد الخامس إلى عرشه. وفي 1955/11/16م عاد محمد الخامس إلى قصره بالرباط بعد أن غادره الشيخ بن عرفة في 1955/10/2م متوجهاً إلى طنجة، ليعش بها مغضوباً عليه، مُحرم عليه العودة إلى المغرب. وبعد عودة طنجة إلى المغرب، اضطر ابن عرفة إلى مغادرتها إلى مدينة (نيس) الفرنسية، وظل بفرنسا حتى وفاته عن عمر ناهز التسعين عاماً في شهر يوليو 1976م ودفن في فرنسا، وفي الثمانينات وافق الملك الحسن الثاني على نقل جثمانه إلى مقبرة صغيرة في فاس.

وهناك يسر إليه كلاماً ثم يعود إلى مجلسه. وحين يحضر الجلاوي الفتاة ويسألها المقيم تسخر من المقيم السابق وتسبه، مما يجعل المقيم يسر بها ويطلب من الجلاوي أن يحضرها إلى بيته في المساء، فيقول الجلاوي إنه سيحضرها بنفسه، ولكن المقيم يطلب أن يحضرها ابن عرفة إليه. وحين يهيم ابن عرفة بالاعتراض يسأله المقيم: اعتراض؟! فيقول ابن عرفة: كلا يا سيدي ولكن لا أستحق هذا الشرف! فيقول المقيم: (فرحاً) بل تستحقه يا إمام المسلمين وتستحق القصر الإمبراطوري أيضاً. فيقول الجلاوي: أبشر يا ابن عرفة فقد وعدك الجنرال أن تكون سلطاناً. فيقول ابن عرفة: ثق يا جلاوي أن رضا الجنرال أئمن عندي من عرش مراکش. فيقول المقيم جيوم: برافو يا إمام المسلمين برافو!

وهكذا نجد باكثير يعمن في السخرية من ابن عرفة ويجعله قواداً للمقيم الفرنسي. وهي صورة في غاية البشاعة تدل على ما كان يضمه باكثير لمن يماليء المستعمرين ويقف في صفهم.

إلى اللقاء في الدار البيضاء⁽²³⁾:

تدور أحداثها في: مكتب حاكم جزيرة كورسيكا المسيو مارسيل سافرو. وتتناول أحداث نقل السلطان ابن يوسف من جزيرة كورسيكا إلى مدغشقر⁽²⁴⁾.

يدور حوار بينه وبين الكونونيل الذي أوفدته فرنسا لمتابعة الأحداث بعد أن عجز الحاكم عن السيطرة عليها. نفهم من الحوار أن الحاكم كان قد كتب تقريراً عن الوضع في الجزيرة (التي نفي إليها السلطان محمد بن يوسف) يطلب فيه نقله خارج الجزيرة لأنه لا يستطيع أن يضمن الحفاظ على السلطان فيها. وفي تلك الأثناء يدخل الأسقف ميخائيل الذي جاء يبحث على تفتيش رجال الدين، فيرد عليه الحاكم بأن هذه دواع أمنية لأنه بلغهم أن السلطان قد يتنكر في زي قسيس أو صياد سمك أو سائح من السواح للهرب من الجزيرة. وتزداد حدة الحوار بين الحاكم والأسقف الذي يهدد بإبلاغ البابا. فيهدته الكولونيل ويطلب منه مهلة للغد لحل المشكلة.

ويسخر باكثير من ادعاءات الحاكم احتياطاته في المحافظة على السلطان، حتى أن زوجته قد غضبت منه لأنه يقضي الليل كله في القلعة للتأكد من عدم هروب السلطان. وأنه منع السياح من النزول إلى الجزيرة. وبلغت به السخرية حددها حين جعل الحاكم يقول إنه يفتش المتشبه فيهم بأن: "يعرضون كل يوم على الميزان فيوزنون واحداً واحداً فمن وجد وزنه يتفق مع

23 - نشرت في مجلة الدعوة (المصرية) في 28 جمادى الأولى 1373 هـ (1954/2م).

24- أبعد محمد الخامس عن المغرب يوم 20 غشت 1953 على الساعة الثالثة بعد الزوال، حيث أقل هو وعائلته في طائرة عسكرية باتجاه كورسيكا قبل أن ينقل من جديد، يوم 2 يناير 1954 إلى مدغشقر.

وزن السلطان يحجز ويحقق معه تحقيقاً دقيقاً ولا يطلق سراحه حتى يعرض على شخصياً وأتأكد أنه ليس هو السلطان محمد بن يوسف. رأيت احتياطاً أكثر من هذا؟"

ويشير باكثير أيضاً إلى أن الحاكم قد ذكر في تقريره أن "المهرب العالمي أوتو سكورزيني الذي كلفه هتلر فأنتقد موسوليني من سجنه في جراند ساسو؟ قد شوهد في الجزيرة".

وفي النهاية يقتنع الكولونيل بضرورة نقل السلطان محمد الخامس، فيفرح سافرو، ويقول له الكولونيل إنهم في باريس يظنون أنه يتهرب من تبعاته، فيطلب منه أن يحضروا له السلطان محمد بن عرفه ليحافظ عليه بعد أن علم أنه أصبح خائفاً على حياته في مراكش ويفكر في الهرب.

وفي المشهد الثاني الذي نرى فيه السلطان محمد بن يوسف يتأهب لمغادرة الجزيرة، يدور حوار بين السلطان والحاكم نفهم منه أن الأمر كله مكيدة من الحاكم بإشارة من السلطان، وحين يمازحه السلطان بأنه سيفشي سره، يحذره الحاكم ويذكره بأسرته، فيضحك السلطان ويقول له إنه موافق بشرط أن ينزل الحاكم في ضيافته في الدار البيضاء.

ونجد في هذه المسرحية أن باكثير يسخر من الفرنسيين حيث جعل حاكم الجزيرة يدبر مكيدة يهول فيها من شأن السلطان وأنه يعد العدة للهروب، كل هذا حتى يرتاح هو من تبعة حراسته وتحمل هم هروبه. وبهذا يسخر باكثير من وطنية الفرنسيين وأخلاقهم، وأنهم لا هم لهم إلا الراحة والمتعة.

كما يؤكد على قرب عودة السلطان محمد الخامس إلى الدار البيضاء، كما يظهر من عنوان المسرحية ومن الشرط الذي اشترطه السلطان على الحاكم.

ملاحظات على المسرحيتين:

الملاحظة المهمة التي يخرج بها قارئ المسرحيتين هي أن باكثير كان على اطلاع كامل على أدق تفاصيل الأحداث في المغرب، رغم بعده الجغرافي عنها، وبدائية وسائل نقل الأخبار، مقارنة بالعصر الحاضر. ولكن باكثير كان يتابع متابعة دقيقة كل ما يحدث في البلدان العربية والإسلامية، كما يتضح من قراءة هذه المسرحيات السياسية.

وبالنظر إلى أحداث المغرب في تلك الآونة، نجد أن سحب الشرعية الدينية من السلطان محمد بن يوسف تم في (20 مارس 1953) والمسرحية التي تناولت الحدث (أربعة في ماخور) نشرت في (1/9/1953). ويبدو أن باكثير كتبها قبل عزل السلطان محمد الخامس وإبعاده إلى جزيرة كورسيكا الذي تم في يوم 20 غشت 1953، ولكنها نشرت بعد العزل والنفي.

وربما لم تكن أخبار عزله قد وصلت إلى مصر حين نشرت المسرحية. ولا نعلم على وجه الدقة سرعة وصول الأخبار في تلك الأيام، كما لا نعلم المدة بين إرسال المسرحية للمجلة وتاريخ نشرها.

على أن المدة بين نقل السلطان محمد الخامس من جزيرة كورسيكا إلى مدغشقر، الذي تم في يوم 2 يناير 1954، وبين تاريخ نشر المسرحية التي تناولت ذلك، هو شهر تقريباً (نشرت المسرحية في 1954/2/2).

وقد يكون باكثير قد كتب هذه المسرحية قبل نقل السلطان، وإنما تنبأ هو بذلك من خلال استقرائه للأحداث. خاصة أنه لم يشر في المسرحية إلى الواجهة التي نقل إليها السلطان، مما قد يعني عدم علمه بها.

وكان السبب في عزل السلطان ونفيه هو تأليه المغاربة على فرنسا ولا سيما بعد خطاب (طنجة) المشهور الذي طالب فيه فرنسا بإعطاء المغرب استقلالها ثم ناصر الحزب الدستوري ورفض إدانته لما طلبت منه فرنسا ذلك⁽²⁵⁾.

وقد أشار باكثير إلى السياسية التي اتبعتها فرنسا في ذلك، حيث لجأت إلى الحيلة، وذلك بأن دعت أتباعها والموالين لها من المغاربة ليقفوا على ورائق تنادي بخلع السلطان محمد بن يوسف عن العرش لخروجه على الإسلام ليوهمو الرأي العام المغربي والعالم أن الشعب هو الذي يطالب بتنحيته لا فرنسا⁽²⁶⁾.

ويلاحظ قارئ المسرحية أن باكثير كان على معرفة تامة بشخصياتها، فقد صور الشيخ عبد الحميد الكتاني على أنه متصوف⁽²⁷⁾ وعالم بالحديث، واحترم شخصيته بأن جعله يستأذن للانصراف حين طلب المقيم الفرنسي إحضار الخمر. كذلك أشار باكثير إلى ما كان يتداول عن الجللاوي باشا من أنه كان يدير شبكة للدعارة⁽²⁸⁾، وذلك حين جعل المقيم الفرنسي يطلب منه إحضار فتياته ليختار منهن من تونس وحدته في المساء.

أما السلطان محمد بن عرفة فقد صب باكثير عليه جام سخريته، وجعله يقبل أن يحضر البغي إلى منزل المقيم الفرنسي في المساء. وهو تحامل - في رأبي - من باكثير ما كان ينبغي له أن يصل إليه. ولست في مقام الدفاع عن السلطان محمد بن عرفة، ولكني أميل إلى الرأي الذي يراه بعض المؤرخين⁽²⁹⁾ وهو أن ابن عرفة ربما يكون قد رأى أنه لو امتنع عن قبول العرض الفرنسي بتوليه السلطنة لربما أضع بذلك الفرصة على بقاء الحكم في الأسرة العلوية التي ما تزال تحكم المغرب إلى اليوم. إذ ما كان أيسر على فرنسا من أن تقلب نظام الحكم إلى الجمهوري، وتأتي بحكومة متوافقة معها.

25 - الطبيب علي الشريف: مسرح باكثير وقضايا المغرب العربي، دار حضرموت للطباعة والنشر، 2011، ص 178

26 - المرجع السابق، ص 46

27 - كان الشيخ عبد الحمي صوفي النشأة، ترمى في الزاوية الكتانية، وصار شيخها بعد وفاة والده وأخيه أبو الفيض الكتاني (انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا).

28 - تشير بعض الروايات إلى أن الكلاوي كان يدير عددا كبيرا من منازل الدعارة ضمت ما يناهز ستة آلاف امرأة (انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا).

29 - حسن البديوي: محمد بن عرفة المغترب عليه، موقع مغرب.

أما المقيم الفرنسي فقد صورته باكثير في المسرحية الأولى، كما صور حاكم جزيرة كورسيكا في المسرحية الثانية، كلاهما يرغب في التهرب من تبعات المسؤولية. فالمقيم يكيل السب والشتم للمقيم السابق الذي أدت سياسته الهوجاء إلى استبعاده وإرسال المقيم الجديد بدلاً منه. وكذلك حاكم جزيرة كورسيكا يتهرب من تبعة حفظ السلطان المخلوع، ويدبر مكيده ليتم نقله من الجزيرة إلى مكان آخر حتى ينعم هو بالهدوء والراحة ولا يتحمل مسؤولية هروبه لو تم ذلك.

وهكذا يصور باكثير الفرنسيين غير وطنيين ولا يهتمهم مصلحة بلدهم، بل تهمهم بالدرجة الأولى مصالحتهم الشخصية. كذلك صور المخطاطهم الأخلاقي، حيث يقبل المقيم أن تسافر زوجته مع صديقها ليستمتعا بوقتها مقابل أن يستمتع هو بوقته مع بغايا الجلاوي باشا.

الخلاصة:

وهكذا يتضح لنا أن الأديب علي أحمد باكثير كان على متابعة دقيقة للأحداث الثورية في العالم العربي والإسلامي في زمنه. وقد استعرضنا في الصفحات السابقة اهتمامه بقضايا التحرير في المغرب، وثورة شعبها ضد الاحتلال الفرنسي. ورأينا أن باكثير قد تناول هذه الأحداث شعراً ونثراً. أما الشعر فمن خلال ثلاث قصائد الأولى منها تحية للمجاهد المغربي علال الفاسي وتضامناً معه عندما نفته فرنسا إلى الغابون سنة 1937م، والثانية رثاء لثلاثة من شهداء التحرير في المغرب العربي سقطت بهم الطائرة أثناء عودتهم من حضور مؤتمر في باكستان وذلك سنة 1949م. والثالثة نشيد كتبه باكثير تحية للملك محمد الخامس.

أما في النثر فقد كتب باكثير مسرحيتين ضمن المسرحيات السياسية القصيرة التي كان ينشرها أسبوعياً في الصحف المصرية في فترتي الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين. وتتناول هاتان المسرحيتان وهما (أربعة في ماخور-1953)، و(إلى اللقاء في الدار البيضاء-1954)، حادثة عزل السلطان محمد الخامس ونفيه، وتولية محمد بن عرفة سلطاناً مكانه. وقد وقف باكثير في هاتين المسرحيتين مع الرأي العام المغربي الذي تمثل في رفض هذا الإجراء، وإشعال الثورة حتى اضطرت فرنسا إلى إعادة السلطان محمد الخامس إلى الحكم.

وتعكس هذه المسرحيات سعة اطلاع باكثير على أدق تفاصيل الأحداث في المغرب، ومعرفته الدقيقة بالشخصيات التي كان لها دور في تلك الأحداث مثل الجلاوي باشا، والشيخ الكتاني، وابن عرفة، والمقيم الفرنسي، وحاكم جزيرة كورسيكا. وإن كان باكثير قد بالغ في التصوير الكاريكاتوري لهذه الشخصيات وهجاها هجاء مقذعاً، وسخر بها، وتلك هي ميزة تلك المسرحيات السياسية التي درج باكثير فيها على السخرية من الشخصيات الاستعمارية التي يصورها وتلك المتواطئة معه من أبناء تلك الشعوب.

المراجع

أولاً: الكتب:

- الطيب علي الشريف: مسرح باكثير وقضايا المغرب العربي، دار حضرموت للطباعة والنشر، 2011.
- عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط 3، الكويت، 1989م.
- عز الدين اسماعيل: مسرح باكثير الشعري، سلسلة كراسات نقدية (2)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005م.
- هلال ناجي: شعراء اليمن المعاصرون، مؤسسة المعارف، بيروت، 1966م.

ثانياً: الدوريات:

- علي أحمد باكثير: أربعة في ماحور، مجلة الدعوة، القاهرة، 22 ذي الحجة، 1372هـ (1953/9/1).
- علي أحمد باكثير: إلى اللقاء في الدار البيضاء مجلة الدعوة، القاهرة، 28 جمادى الأولى 1373هـ (1954/2/2م).
- علي أحمد باكثير: نموذج من الشعر المرسل الحر، مجلة الرسالة، عدد 625، 25 يونيو 1945م.

ثالثاً: المخطوطات:

- جلييلة المؤدب: ثلاثة رموز فكرية سياسية مغربية، بحث لنيل شهادة الماجستير في الحضارة العربية المعاصرة، إشراف الأستاذ: محمد الناصر النفزاوي، جامعة تونس، 2005-2006، مرقوم على الحاسوب.
- محمد أبوبكر حميد: ديوان علي أحمد باكثير، مرقوم على الحاسوب.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

- ابن منظور: لسان العرب، نسخة إلكترونية، موقع الباحث العربي، <http://baheth.info/>، تاريخ الدخول: 2015/3/31
- حسن البدوي: محمد بن عرفة المفتري عليه، موقع مغرس، <http://www.maghress.com/hespress/10789>، تاريخ الدخول: 2015/3/31
- عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب، نسخة إلكترونية، موقع الموسوعة الشاملة، <http://islamport.com/w/adb/Web/543/821.htm>، تاريخ الدخول: 2015/3/31
- الهادي الحسيني: مفخرة مجهولة.. وثروة ضائعة، موقع الشروق أونلاين http://www.echoroukonline.com/ara/?news=47537?print&output_type=rss، تاريخ الدخول: 2015/3/31

• ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <http://ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ الدخول: 2015/3/31